الفصل السادس

معالم التصور الإسلامي في تربية الأطفال

تربية الإنسان في الإسلام ـ غاية وهدف:

التربية الإسلامية في جوهرها عملية يؤخذ فيها الأطفال المسلمون بألوان من الأنشطة التربوية في ظل الفكر القيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية لتعديل سلوكهم وبناء شخصياتهم على النحو الذي يجعل منهم أفرادًا صالحين نافعين لدينهم وأنفسهم ووطنهم وأمتهم.

وهي ـ كذلك ـ تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرق العلمية التي يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام (سعيد إسماعيل ١٩٧٥).

إذن فصياغة الشخصية المسلمة هي الهدف من وراء التربية في الإسلام، وتقوم على الدعوة إلى التسامي بالإنسان والارتفاع به إلى المثل الأعلى وفقًا للتصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة.

والإنسان جزء من هذا الكون الكبير الذي خلقه الله بقدرته، فهو كل متكامل من جسد وروح، وعقل وعاطفة ومشاعر وأحاسيس، ويتحدد دور التربية في النهوض به وترقيته والسمو به وتكريمه، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا

يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1] .

والخير فطرة في الإنسان (محمد قطب، ١٩٩٥)، وأصل في طبيعته، أما الشر فطارئ عليه، وقد وهبه الخالق ﷻ القدرة على التمييز بين الخير والشر، والإنسان يولد على الفطرة التي هي الإسلام، ثم تتفاعل إمكاناته وقدراته مع المجتمع الذي يعيش فيه، والتربية الإسلامية تنمي الإنسان على هذه الفطرة، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] .

وإن خضوع الإنسان بالعبودية لله وحده هو الهدف الأسمى من هذه التربية.

والتربية الإسلامية تحافظ على هذه الفطرة، وتعمل على تنميتها وتزكيتها في مختلف مراحل عمر الإنسان طفلاً يافعًا، وشابًا فتيًا، وكهلاً شيخًا.

فالإنسان محور هذا الوجود (عبد الرحمن المطرودي، ١٩٩٠)، وخليفة الله في أرضه هو الهدف من التربية الإسلامية، ومن صفاته اكتساب المعرفة والقدرة على التعلم وهو عضو في جماعة كبرى هي الإنسانية كلها، وينبغي أن تكون التربية إنسانية لا تحدها حدود، فالناس جميعًا عباد لله، يتفاضلون عند الله بتقواهم وصدق إيمانهم، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ٧٠ : ٧٢ .
(٢) سورة الروم : الآية ٣٠.
(٣) سورة الحجرات : الآية ١٣.

وهم في تفاضلهم هذا متفاوتون مختلفون في قدراتهم واستعداداتهم، والتربية الإسلامية تراعي خصائص وسمات كل فرد باعتباره وحدة منفردة مستقلة بذاتها، ومن الصعب أن نصب الناس جميعًا في قوالب جامدة، لا يتفاوتون ولا يختلفون، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

فالإنسان الصالح هو الهدف من وراء التربية الإسلامية، حيث يعرف قدره ومكانته في عبوديته لله، ويعرف رسالته خليفةً لله في أرضه، فيسعى في إعمارها في ضوء حكمته وهدايته، وهو يُدرك أنه لم يُخلق عبثًا، وأنه مُحاسب، وأن له نهاية ينتهي عندها لا تقف عند حد سوى الوعد الحق يوم الحساب، وأن م طبيعة شخصيته المزاوجة بين الخير والشر فالخير يواجه بالإثابة والتعزيز والتشجيع، والشر له أسلوب الزجر والترهيب.

الأساليب القرآنية في التربية:

أولاً: الترغيب والترهيب:

الترغيب: وعد مصحوب بإغراء وتشويق، بلذة أو متعة مؤكدة عاجلة أو آجلة مقابل العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله، والابتعاد عن فعل السوء طاعة وتقربًا لله عز وجل

الترهيب: فهو وعيد وتهديد مصحوب بالنكير والنذير لمن ارتكب معصية أو اقترف ذنبًا أو تهاون في أداء فريضة افترضها الله عليه، والغرض من التحذير وابتعاث الرهبة من ارتكاب المخالفات أو المحرمات.

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٥.

والترغيب والترهيب (عبد الرحمن النحلاوي، ١٩٨٣) أسلوب في التربية الإسلامية يعتمد على أصل في فطرة الإنسان، وطبع ثابت مُركب فيه، وهو أنه لديه الرغبة في الثواب الذي سيحظى به المؤمنون في نعيم الجنة، وفيه الرهبة في العقاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم، ويعتمد القرآن الكريم في أسلوب تربيته على مزيج منهما، الرجاء في رحمة الله وثوابه، والخوف من عذابه وعقابه، وقد عبَّر القرآن عن ذلك في وصف عباده الصالحين بقوله تعالى:

﴿ ... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[١].

ويقول سبحانه جامعًا بين الترغيب والترهيب:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[٢].

وتعتمد التربية الإسلامية على إثارة الانفعالات والعواطف المختلفة في التربية الوجدانية للطفل المسلم، فانفعال الخوف (محمد عثمان نجاتي، ١٩٩٣) مثلاً هو حالة داخلية واستعداد فطري أوجده الخالق ﷻ في نفس الإنسان ليكون وقاية له من الضرر والخطر، ويجعله في حرص وحذر وترقب من أن يلحق به أذى، هذا الانفعال استعمله القرآن في التخويف من العذاب الذي يقع على الإنسان إذا أشرك بالله وجعل معه آلهة أخرى، قال تعالى:

﴿ ... تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[٣]

---

(١) سورة الأنبياء : من الآية ٩٠.
(٢) سورة المائدة : الآيات ٩ : ١٠.
(٣) سورة الإسراء : من الآية ٣٩ .

وإذا كفر به وكذب بآياته، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾[1]

.وعن ارتكاب الجرائم التي نهانا الله عنها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[2] .

كما توعد المنافقين والمنافقات والكفار باللعنة والعذاب المقيم، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[3] .

وكذلك للذين كذبوا وتكبروا، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[4] .

وإذا كان الإنسان طاغية عاصيًا مسرفًا في الكفر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾[5]

وكذلك يأمرنا الحق تبارك وتعالى أن ندعوه خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه، قال تعالى:

﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[6] .

---

(١) سورة المائـدة: الآية١٠.
(٢) سورة الزخرف: الآية٧٤.
(٣) سورة التـوبـة: الآية٦٨.
(٤) سورة الـزمر: الآية ٦٠.
(٥) سورة ص : الآيات ٥٤ : ٥٥.
(٦) سورة الأعراف : الآية ٥٦.

وعاطفة الخشوع: وما تشتمل عليه من عبودية وانقياد وخضوع لله ﷻ، وهي ثمرة للخوف، ودليل على الرجاء والمراقبة لله ﷻ،وهي عاطفة مترتبة على صدق العبودية وإخلاص العمل، ولا تتحقق إلا بذكر الله وقراءة القرآن، قال تعالى:

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} (الحديد).

وتعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ترقيق العواطف الدافعة على السلوك وعلى السمو بالغرائز وتنظيمها وتوجيهها.

وعاطفة الحب: وما تعنيه من تعلق المحب بالمحبوب ودوام تذكره وحضور القلب معه وعمل ما يرضيه ويوافق هواه.

والحب عاطفة مترتبة على الرغبة والرهبة (محمد عثمان نجاتي، ١٩٩٣)، وأسمى مراتبها حب الله والتوكل عليه والرجاء فيه في جميع الأحوال والظروف، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

وعاطفة الرجاء: كنتيجة للترغيب في الثواب، وهي الأمل في رحمة الله وجزيل ثوابه، وعظيم أجره، وهي درجة من درجات المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[2].

وتعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها، فيجمع الإنسان بين الخوف والرجاء.. الخوف من عقاب الله والرجاء في رحمته، ولا يصح أن يطغى الخوف على الرجاء فيقنط المذنب من رحمة ربه، قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣١.
(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٨.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] .

ولو أننا تدبرنا صفات الكمال الإلهي في توازنها واعتدالها، واستشعرنا غضب الله فنبغي ألا ننسى رحمته، قال تعالى:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] .

ويقول الرسول الكريم ﷺ **(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)** (رواه مسلم).

وحينما يستخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب تكون الغاية اتباع الخير وعمله، والتنفير من الشر وعاقبته، فإذا أحسن الطفل فإنه يحظى بالتعزيز والتشجيع وإذا أخطأ فإنه يقابل بالعفو أولاً، فإذا تكرر الخطأ فالعقوبة واجبة، والدليل من القرآن الكريم في شأن المرأة الناشز، قال تعالى:

﴿ ... وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ ... ﴾[3] .

ومن أساليب الترغيب في القرآن الكريم وعد الله للذين آمنوا باستخلافهم في الأرض والتمكين لهم، وإسباغ الأمن في نفوسهم، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) سورة الزمر : الآية ٥٣.
(٢) سورة الحجر : الآيات ٤٩ : ٥٠.
(٣) سورة النساء : من الآية ٣٤.

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

وكذلك الترغيب بالحياة الطيبة والأجر الحسن للعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

ويمكن للآباء والمعلمين أن يستخدموا الترغيب والترهيب كوسائل دافعة لفعل شيء، والمنع من فعله، في توجيه سلوك الأطفال وإكسابهم ما يحتاجون من خبرات ومهارات، ومن قول (ابن سينا) في هذا الشأن: (... فينبغي لمعلم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق وينكب عنه معايب العادات بالغريب والترهيب والإيناس والإيحاش وبالإعراض والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى...). (عباس محمود العقاد، د.ت).

ثانيـــاً: التربية بالأسوة الحسنة:

لقد كان الرسول ﷺ قدوة حسنة لأصحابه، يقتدون به في كل سلوكه من أفعال وأقوال، وما أقره من أفعال أصحابه ومعاصريه، وهو المثل والإنسان الكامل، قال تعالى:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

وتمتد الأسوة لتشمل دائرة الأنبياء والرسل جميعًا باعتبارهم هداة ونماذج صالحة على طريق الخير والفضيلة والتربية الرشيدة، قال تعالى:

---

(١) سورة النور : الآية ٥٥.
(٢) سورة النحل : الآية ٩٧.
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٢١.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ﴾[1] .

الطفل المسلم يتخذ من نبيه ﷺ قدوته وأسوته، ويتخذها أيضًا والطفل خلال تربيته لابد له من أسوة حسنة وقدوة صالحة من أحد والديه أو من كليهما، وربما اتخذها من أحد معلميه أو من يقومون على تربيته، حيث تمثل القدوة جانبًا نفسيًا هامًا (محمد عثمان نجاتي، ١٩٩٣)، وذلك لأن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يتشبهوا ويقتدوا بالأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم، وأن هذه الحاجة تنشأ في بادئ الأمر من خلال تقليد الأطفال لوالديهم وتقمصهم لشخصياتهم، ومن الضروري أن يصبح المرء شبيهًا بالناس الذين تكون لهم أهمية بالنسبة له، ومن الممكن أن نحبب إلى الأطفال الشخصيات الإسلامية العظيمة، كأصحاب الرسول ﷺ، وخلفائه والنماذج التاريخية المضيئة في عصور ازدهار الإسلام وتقدمه، قال ﷺ (... **أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**)، والمربي القدوة سواء كان أبًا أو أمًا أو معلمًا ينظر إلى سلوكه قبل أن ينصح، هل يُنفذ ما يأمر به طفله، وهل يفعل ما يقول، وإلا فسيقع تحت دائرة قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾[2] .

واتجاه التربية الأمثل يرفع دائمًا مبدأ (ابدأ بنفسك)، ومن قول الإمام علي ﷺ في هذا الصدد (من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه مؤدبها أحق بالإجلال)، وينصح الإمام

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ٦.
(٢) سورة الصف : الآيات ٢ : ٣ .

الغزالي القائمين على تربية الطفل (بأن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، ولا ينهى عن خلق ويأتي مثله..) (صالح سالم باقارش، ١٩٩٠).

وهذا يؤكد على أن الاهتمام بالنموذج والمثل وأثره في اكتساب السلوك الصحيح فلو أننا - مثلاً - أخذنا أنفسنا بوعظ أطفالنا وترغيبهم في الصلاة وتذكيرهم بالثواب العظيم للمصلين ولم يكن أحد في الأسرة يقيم الصلاة، فلا قيمة لهذا النصح في نظر الطفل، أما إذا وجد أباه وأمه محافظين على أدائها، فبدون أن يذكره أحد سوف يؤدي الفريضة ويحرص عليها، وإن مثلاً واحدًا يُحتذى لخيرٌ من قناطير الوعظ الجميل.

ولقد حرص علماء التربية المسلمون على أن يكون المعلم مثلاً يُحتذى وأسوة صالحة يتأسى الأبناء بها، ذلك لإدراكهم لقيمة الأسوة والقدوة الحسنة في تعليم الأبناء وأهم شروطهم في معلم الأطفال أو مؤدبهم تقوى الله والإيمان به، فطالما كان المعلم تقيًا فلسوف يرعى الله في عمله وأداء واجبه وأمانته التي اؤتمن عليها، وشددوا في بقية الصفات المطلوبة كالصدق والأمانة والقناعة والعلم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومما ذكره الأصمعي من أبيات لأبي الأسود الدؤلي في هذا الصدد:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي ... الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

وتراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدًا، وأنت من الرشاد عديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ثالثًا: التربية بضرب الأمثال:

تكرر في القرآن الكريم والسنة النبوية ضرب الأمثال المتنوعة الهادفة، والتي لها قيمتها التربوية والفنية، والهدف منها توضيح المعنى وتقريبه وتعميق الشعور به، ومن

جوانب التربية في القرآن الكريم مراعاة الطبائع والنفوس، ومن النفوس ما هو قوي خيّر وهذه النفوس يربيها القرآن تربية قوية تتلاءم مع قوتها، ومن النفوس ما هو ضعيف هش تحتاج إلى تدعيم وتقوية، وهذه النفوس يربيها القرآن برفق وهوادة، فيقدم لها المثل الرائع والنصح السديد والتوجيه القويم، حتى يتكامل بنيانها وتستقيم طريقتها، ومن الأمثال التي يضربها القرآن قوله تعالى:

﴿ . . . فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

فالباطل يزول ويتلاشى كالزبد الذي يحتمله السيل، وإن تفوق على الحق أحيانًا كما يعلوا الزبد على سطح الماء، والحق ثابت يكمن في القلب، فينتفع به المؤمن كما يمكث الماء في الأرض فيثمر نباتًا طيبًا.

والأطفال يستفيدون كثيرًا من أسلوب التربية الإسلامية في ضرب الأمثال، وذلك لأن الطفل لا يدرك إلا ما تقع عليه حواسه، فلا يقدر على فهم المعاني الكلية المجردة وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، ولذا كان البدء مع الطفل بالأمور المحسوسة والانتقال منها تدريجيًا إلى الأمور المعنوية وهو ما يحتاجه الطفل لنموه العقلي السليم.

فالأمثال تفيد في تقريب المعاني العقلية في صورة حسية قريبة الفهم، وتفيد الأمثال في الترغيب حينما يكون مضرب المثل مرغوبًا فيه (محمود بن الشريف، د.ت) وكذلك في الترغيب والتنفير حينما يكون مضرب المثل مكروهًا نريد أن ننفر الطفل منه

وتحفل الأحاديث النبوية بضرب الأمثال كأسلوب في التربية، من ذلك حديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أرأيتم لو أن نهرًا بباب**

---

(١) سورة الرعد : من الآية ١٧.

أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا)، فالرسول ﷺ استخدم في هذا الحديث أسلوب الحوار الخطابي لينبه المسلمين إلى قيمة الصلاة كفريضة لا يصح الإسلام إلا بها، وأثر هذه الفريضة في محو الخطايا والذنوب.

كما استخدم الحديث ذوات الأشياء.. النهر، والاغتسال، لتكون هي الوسائل المعينة على الفهم والوضوح.

رابعـًا: التربية عن طريق القصص:

يجعل القرآن الكريم الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية (سيد قطب، د.ت)، ويصدق هذا القول على استخدام القصة في القرآن الكريم.

وللقصة دور كبير في التأثير والتهذيب والتربية وبث الفضائل والأخلاق الحميدة دون الحاجة إلى صريح الوعد والوعيد أو العظة المباشرة بالغريب والترهيب.

قال تعالى مخاطبًا نبيه الكريم ﷺ:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1].

ومن الأمور المعروفة في مجال التربية أن القصة تستهوي الطفل في طفولته المبكرة ويفضل سماعها (محمد حسن الزير، ١٩٨٠)، وتترك أثرًا واضحًا في نفسه، وتؤكد لديه القيم المرغوب فيها من خلال مشاركته الوجدانية وتعاطفه مع أبطال القصة ومعايشته للحوار والأحداث التي تصورها، وقد أشار الإمام الغزالي إلى دور القصة في التربية الوجدانية للطفل

---

(١) سورة يوسف : الآية ٣ .

في قوله (يتعلم. الطفل. القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين).

والقصص القرآني في جملته أسلوب في التربية وطريقة مُثلى في التعليم، ففي سورة البقرة مثلاً نجد قصة قابيل وهابيل وما تدور حوله من عاقبة الطيبة والإصلاح وعاقبة الشر والإفساد، وقصة أهل الكهف وما تصنعه العقيدة الصادقة في النفوس، وقصة يوسف عليه السلام ودورها في صدق الإيمان والصراع الأزلي بين الخير والشر.

ومن أغراض القصص التربوية: بيان قدرة الله تعالى بيانًا يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد.. ومن ذلك مثلاً قصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وقصة خلق آدم عليه السلام، وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل جزءًا منه، وقد جاء ذكرها جميعًا في سورة البقرة.

ولعل أكثر ما يستثير اهتمام الأطفال القصص القرآني الذي ورد على ألسنة الحيوانات والطيور، وفيها يمكن بث الأهداف التربوية التي نرغب في تعليمها للطفل المسلم

خامسًا: التربية بالثواب والعقاب:

يتشابه هذا الأسلوب مع الترغيب والترهيب في تربية الأطفال وتوجيه سلوكهم ويساعد الثواب على تثبيت السلوك وتعزيزه لدى الطفل، أما العقاب فيساعد على محو السلوك الخاطئ، ويسهم في تعزيز السلوك الإيجابي، وحينما يوجد الدافع القوي لدى الطفل للحصول على شيء ما، فإن الحصول على هذا الشيء الذي يشبع دافعه يعتبر ثوابًا يولد لديه الشعور بالرضا والسرور.

أما الفشل في الحصول على الشيء يعتبر نوعًا من العقاب يسبب له الشعور بالضيق والألم.

والإنسان بفطرته يميل إلى ما يسبب له اللذة ويبتعد عما يسبب له الألم. ولذا فهو يتعلم من الأفعال ما يؤدي إلى الحصول على الثواب ويتجنب الأفعال التي تنتهي إلى العقاب (أحمد علي بديوي، ١٩٩٢).

ولذلك فإن المسلم بين دافعين قويين، الرجاء في رحمة الله يدفعه إلى القيام بالعبادات والتكاليف وكل ما يأمره به الشرع والخوف من عذاب الله يدفعه إلى الابتعاد عن كل ما نهى الله تعالى عنه، وقد وضحنا ذلك في الحديث عن الترغيب والترهيب.

ومن الأطفال من إذا مُدح تعلم علمًا كثيرًا، ومنهم من يتعلم إذا عاتبه المعلم ووبخه ومنهم من لا يتعلم إلا إذا أخافه المعلم وهدده بعقوبة الضرب.

ومن خطوات استخدام العقوبة عند علماء التربية الإسلامية:

١- **التغاضي عن خطأ الطفل في البداية:** وذلك حتى يُعطى الفرصة لمراجعة سلوكه وتصحيح خطئه، وحتى لا نلفت نظره بشدة إلى الخطأ فربما استمر عليه عنادًا وإصرارًا منه.

٢- **عتاب الطفل سرًا:** إذا استمر الطفل على الخطأ، فينبغي معاتبته سرًا، وألا نكثر من ذلك حتى لا تسقط هيبة الكلام من نفس الطفل، يقول ابن خلدون فيما يفعله الأب والمعلم: (وينبغي ألا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام في قلبه).

٣- **عتاب الطفل ولومه جهرًا:** وهذه مرحلة العلانية في العقاب والهدف إحراج الطفل وسط رفاقه، ولكن يجب ألا يحتوي لومه وتقريعه على شتم أو سب أو تحقير والهدف من معاتبته على ملأ هو استغلال خوف الطفل على مكانته بين أقرانه في الرجوع عن الخطأ وتعديل السلوك، وكذلك لتكون عظةً وتحذيرًا للآخرين من أن

يسلكوا نفس المسلك فيرتدعوا ويتعظوا، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحكمة في تعقيبه على تنفيذ حد من حدود الله.

﴿ ... وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾[1] .

وينبغي عدم تكرار الجهر بالعقاب للطفل، وذلك حتى لا تفقد العقوبة مغزاها والواقع أن الطفل إذا تكرر لومه وتوبيخ فإنه يمر بثلاث مراحل: مرحلة التألم من الشعور بالذنب، وبالتكرار تأتي مرحلة التضايق من اللوم والكراهية للشخص الذي يلومه، وبزيادة التكرار تأتي عادة مرحلة ثالثة وهي عدم إعارة اللوم ومصدره أي اهتمام.

٤- **الضرب**: وهذه مرحلة أخيرة في تربية الأطفال، وهي أبغض المباح في التربية، ولكن لا مناص منها إذا لم تُفلح كل الأساليب الأخرى في إصلاح الخطأ، وقد أقرها المربون المسلمون بعد استنفاذ كل وسائل التأديب الأخرى، وأحاطوها بشروط بالغة الصعوبة (أحمد علي بديوي، ١٩٩٢) حتى لا تخرج العقوبة عن مغزاها التربوي وأن تكون في أضيق الحدود، ولا يصح أن يضرب الطفل على شُبهة أو على ظن، وألا يكون الضرب مُبرحًا شديدًا فيخرج من دائرة العقوبة الموجهة إلى الانتقام والتشفي، ولا يزيد الضرب عن ثلاث ضربات، فإذا زاد عن ذلك فينبغي استئذان ولي الأمر، ولا يكون الضرب على الوجه أو على الأماكن ذات الحساسية الشديدة في الجسم.

معالم التربية النفسية في القصص القرآني:

للقصص القرآن دور في مجال الدعوة وتربية النفوس وتهذيبها، قال تعالى:

---

(١) سورة النور : من الآية ٢.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة على رأس قصة يوسف ﷺ وفيها تكريم واستدعاء للرسول الكريم ومناداة له من ربه وتكريم لذاته ﷺ بهذا الحديث الذي يتلقاه عن الله تعالى دون واسطة أو وسيلة: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ}.

والقص في اللغة يعني تتبع الأثر والتعرف على صاحبه من الآثار الدالة عليه، على نحو ما هو معروف من مهارة العربي في "القيافة" أو قص الأثر، وقص الأخبار تتبعها وعرضها وإماطة اللثام عنها.

وإذا أمعنا النظر في المعنى الذي تحويه كلمة القصة نجد أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني، فالقصة مشتقة من القص وهو "تتبع الأثر" قال تعالى:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ... ﴾[2].

أي تتبعي آثاره لتعرفي ما انتهى إليه أمره.

ومن نحو هذا قولهم قص الأثر أي نظر فيه واقتفى آثاره وشواهده، ويقال قصصت أثره واقتصصته وتقصصته، وخرجت في أثر فلان قصصًا، قال تعالى:

﴿ ... فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

ومنه قص عليه الرؤيا والحديث، قال تعالى:

﴿ ... لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ... ﴾[4].

---

(١) سورة يوسف : الآية ٣.
(٢) سورة القصص : من الآية ١١.
(٣) سورة الكهف : من الآية ٦٤.
(٤) سورة يوسف : من الآية ٥.

ومن هنا أطلق القرآن لفظ "القصص" على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما وقع في محيطها من صراع بين قوى الشر وقوى الخير وبين مواكب النور وشرائذ الظلام.

ولقد كذب من افترى على القصة القرآنية بأنها خيالية، لأن القصة القرآنية تعرض لأحداث تاريخية وقعت في ماضي الزمن.

بل إن منها ما ليس له مصدر تاريخي غير القرآن الكريم، ولهذا فإن القرآن الكريم يعد وثيقة تاريخية ذات شأن عظيم لأنه ينقل الحدث بأشخاصه وأحداثه وما يتعلق بهما من زمان ومكان، بل إنه ينقل إلينا الصور النفسية، والانطباعات الشخصية لأفراد الحدث، كما هو معروف عن قصة سليمان عليه السلام مع الملكة بلقيس وملابسات تلك القصة وكذلك الحال في ألوان الصراع والمعاناة في قصة يوسف عليه السلام ومن ثم نستطيع أن نصف القصة القرآنية بصفة "الواقعية" وتوخي الحقيقة المطلقة التي لا يشوبها طائفٌ من وهم أو خيال، شأنها في ذلك شأن كل الموضوعات القرآنية لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقوله تعالى: أحسن القصص يعني أصدقه حديثًا وأشرفه غاية، وأقومه طريقًا، والمفاضلة هنا واقعة بين قصص القرآن الكريم، وبين غيره من القصص، ومعنى هذا أنه إذا كان القرآن وقصصه الغاية في الصدق الكلي، فإن ذلك لا يمنع أن يكون في القصص غير القرآني مما يؤلفه المؤلفون ما هو حسن يتأدب به، وتؤخذ منه المواعظ والعبر.

وفي قوله تعالى:

﴿ . . . وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾[1] .

---

(١) سورة يوسف : من الآية ٣.

إشارة إلى أن القصص القرآني إنما هو من عند الله، والنبي الكريم ﷺ لم يكن من قبل أن يصطفيه الله تعالى لرسالته ملتفتًا إلى شيءٍ من هذا، بل كان غافلاً عن هذا كله حتى اصطفاه الله ﷻ لرسالته ومصداقًا لهذا يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] .

القصص القرآني دعوة إلى الالتزام في التربية:

ويلتزم القصص القرآني بالإطار العام للدعوة الإسلامية والأصول التي قامت عليها، فهو ينقل الحدث التاريخي نقلاً صادقًا أمينًا كما أنه يحكي مقولات المتحاورين في الحدث الذي يقصده كما هي في مفهومنا ومحتواها وإن جاءت بلغة غير لغتهم. وهذا ما يقتضيه الصدق الذي جاء عليه والحق الذي نزل به ويقول سبحانه:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾[2] .

ومن المعروف - بداهةً - أن القرآن الكريم لا يترك تلك المقولات الضالة البعيدة عن الصواب دون تمحيصها والتعليق عليها وتبيان موقفه منها خشية أن يلتصق زورها بكثير من العقول. ولقد حكى القرآن كثيرًا من سفاهات المشركين في حق الله تعالى وفي حق نبيه محمد ﷺ وفي حق قرآنه الكريم ثم بين سفه هذه الافتراءات وفند آراء هؤلاء القوم الضالين المضلين.

وشاهد ذلك ما قاله أهل الكتاب الذين يجعلون لله ولدًا، قال تعالى:

---

(١) سورة الشورى : الآيـــة ٥٣.
(٢) سورة آل عمران : من الآية ٣.

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾[1] .

فهو يرميهم بالجهل الذي ورثوه عن آبائهم في ذات الله، ثم يصفهم بالكذب والضلال في قوله سبحانه:

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾[2] .

ولقد جاء القرآن الكريم معجزة خالدة لدين خالد، واستخدم القصة والمثل عارفًا ما كان لهما من تأثير على قلوب الناس جميعًا، مخاطبًا النبي الكريم ﷺ قائلاً:

﴿ ... نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ... ﴾[3] .

وإن من يعرف ما كان يروي عن النضر بن الحارث بن كلدة بن خالة النبي ﷺ وكيف كان يجلس إلى الناس يقص عليهم أخبار "فارس رستم" "اسفنديار" ثم إذا فرغ من قصصه قال:

"بماذا محمد أحسن مني حديثًا؟" ليعرف مدى اهتمام العرب بالقصص وشغفهم به في مستهل الدعوة الإسلامية، ويعرف كذلك أن القصص القرآني لم يكن إلا استجابة لهذا الولع، فهو من لدن حكيم خبير، وأن الآية القرآنية التي تصف القصص القرآني بأنه "القصص الحق" لا يبعد أن تكون تعريضًا بالنضر هذا وأمثاله من الذين راحوا يتصدون للدعوة النبوية، ويزعمون أنهم منافسوها في القصص، لا سيما النضر بن الحارث الذي روى عنه أنه هو الذي قال:

---

(١) سورة الكهف : الآيات ٤ : ٥ .
(٢) سورة الكهف : الآية ٥ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٣ .

﴿ ... سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... ﴾[1] .

ولقد جاء القصص القرآني بأخبار الأولين، وقص حوادثهم التي بنى عليها طريقته في التوجيه وأسلوبه في دعوة، يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2] .

وكذلك نجد لونًا من القصص الإنساني يدعوى فيه القرآن الكريم إلى الإسلام الحنيف ومبادئه دعوة تعتمد . في زلزلتها للأفكار الزائفة والعادات السقيمة . على أسلوب الخبر والحكاية في إفاضة وإيحاء بصورة غير مسبوقة.

وفي القصص القرآني يلتقي الإنسان مع أقوى عواطفه ودوافعه التي ولدت في ضباب طفولته والتي نضجت مع الزمن في صراعه المرير مع الحياة، ومن هذه العواطف والدوافع يمضي الإنسان إلى الغايات التي تهدف إليها القصة القرآنية.

القصة القرآنية ودورها في الدعوة والتربية:

وتعتبر القصة القرآنية إحدى ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي بما تدعوا إليه من الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وبما تحمله من نماذج صادقة في ميدان الجهاد والتضحية في سبيل الدعوة إلى الحق والتوجيه إلى الخير والهدى، والتنكر للباطل والصمود في وجه البغي والعدوان.

---

(١) سورة الأنعام : من الآية ٩٣.
(٢) سورة يوسف : الآية ١١.

كما أن القصة القرآنية من أهم الأساليب التي حملها القرآن ليجادل بها الناس ويقرعهم بالحجة الدامغة، وليصرفهم عن الجدل العقيم ثم ليحادثهم بأسلوب يسترق العواطف والمشاعر فإذا حاولوا محاكاته باؤوا بالفشل الذريع.

والقصص القرآني نسيج وحده في موضوعه، وفي أسلوب أدائه وفي مقاصده وغاياته.

فهو في موضوعه يتوخى الصدق ويكشف الحقيقة الناصعة من بين شوائب الخيال وركام الأوهام، حيث يهدف إلى تصحيح العقيدة وتخليصها لله وحده مما ران عليها من أكدار الشرك وضلال الوثنية، ويثبت الوحي لله سبحانه، ويدحض المفتريات والمزاعم التي قيلت عن الأنبياء والمرسلين، وفوق ذلك يقدم لنا العبرة والعظة والأسوة الحسنة.

أما مقاصد القصص القرآني وغاياته فهي الدعوى الصادقة إلى الهدى والحق ومواطن الخير والنزوع بالإنسانية بعيدًا عن مسارب الضلال والخسران.

وليس بخافٍ على المتأمل في القرآن الكريم، أن يلحظ القصة القرآنية باعتبارها جزءًا من الرسالة التربوية التي حملها القرآن الكريم، وتحمل هذه القصص عبء التربية عن طريق العبرة والعظة والأسوة الصالحة.

والقصة القرآنية وسيلة صادقة من وسائل القرآن العديدة التي ترمي إلى تحقيق هدفه الأصيل في تعبير فني جميل، يجمع بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد بل إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية.

ولقد قص القرآن علينا أحسن القصص، وحدثنا عن أخبار الرسل مع أتباعهم وإنه ليصعب علينا استقصاء الغايات التربوية للقصص القرآني غير أننا سنشير إلى اثنين فقط من أسس التربية النفسية في القصص القرآني ومنها:

١- الصبر. ٢- حب الحق.

أما الصبر فبه يهون الصعب، وتحلو الحياة المريرة، وبه تتم مجاهدة النفس المتعجلة إلى الراحة وتحقيق الطلب، ويبدو ذلك واضحًا في سورة الأنبياء حيث ورد ذكر قصص الأنبياء وموسى وهارون إبراهيم ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذي الكفل ويونس وزكريا ثم مريم وعيسى عليهم السلام.

ولقد ابتدئ بذكر موسى وهارون لأنهما وجدا من العنت والشدة والمعاندة الكثير ثم تلا موسى وهارون وإبراهيم عليه السلام لأنه وجد المعارضة من أقرب الناس إليه من أبيه وقومه، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

فأجابه قومه بأنها ميراث الآباء ولن يرجعوا عنها، ولكن إبراهيم يسجل عليهم ضلالهم وجهالتهم في قوله تعالى:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

وفي قصة لوط عليه السلام الذي أُوتي طهارة النفس والبدن والحكم السليم حتى ينكر على من خالفوا أمر الله ومالوا إلى فعلتهم الشنعاء، قال تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٥١ : ٥٢.
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٦٩.

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

ثم تمضي الآيات مع قصص الأنبياء نوح وداود وسليمان حتى نصل إلى أيوب عليه السلام وهو المثال الأول في الصبر على البلاء والشدائد، حيث فقد المال والولد واعتلت صحته وضاقت عليه سبل الرزق، وبعد صبر طويل دعا ربه ضارعًا:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2].

أما إسماعيل وإدريس عليهما السلام فقد ارتبطا بالصبر على ترك المعاصي وقهر الشيطان حتى كانا القدوة في سبيل العقيدة والصبر على الطاعة.

وكان "ذو الكفل" عليه السلام يصوم النهار ويقوم الليل ويحلم عند القضاء، فخلص قلبه وصفا فكره وعدل في حكمه، قال تعالى:

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3].

أما حب الحق فقد أثار القرآن في نفوس الأنبياء محبة الحق وأوحى إليهم باتباعه والرضا به، وفي قصص الأنبياء نجد أن الله ﷻ أقام على الحق دعاة يهدون إليه وأحسن جزاء القائمين بالدعوة، فجعلهم من المفلحين، قال تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء : الآيات ٧٤ : ٧٥ .
(٢) سورة الأنبياء : الآيات ٨٣ : ٨٤.
(٣) سورة الأنبيـــاء : الآية ٨٥.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] .

نهى القرآن عن اتباع الهوى، وحارب الباطل، قال تعالى مخاطبًا داود عليه السلام:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] .

هذا جانبان فقط من جوانب التربية النفسية في القصص القرآني، والمتأمل - أيضًا - في قصص القرآن الكريم يجد له أهدافًا تربوية خاصة بالنبي ﷺ وبصدق دعوته وموعظة وعبرة للبشر جميعًا، فمنها ما جاء عزاءً للنبي ﷺ وشفاء لما يجد من أذى وعنت من قومه وإعراضهم عما جاءهم من الهدى والحق، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ... ﴾[3] .

وإنه مهما حرص النبي ﷺ على هداية الناس فإن أكثرهم سيظل على خلاف وآباء وفي هذا تسرية لنفس النبي وعزاء في من يهلك من قومه وأهله ويموت على الكفر، قال تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ... ﴾[4] .

ومن أهداف القصص القرآني أيضًا إثبات الوحي والرسالة وبيان أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير، فالنبي ﷺ كان أميًا لا يجيد القراءة عن الأمم الغابرة التي يذكرها

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤.
(٢) سورة ص : الآية ٢٦.
(٣) سورة هود : من الآيات ١١٨ : ١١٩.
(٤) سورة هود : من الآية ١٢٠.

القرآن، هذا فضلاً عن أنه لم يكن يجالس الأحبار ولا الرهبان من أهل الكتاب وأن النبي كان غافلاً عن هذه القصص مشغولاً بغيرها، فإذا جاءت قصص القرآن في مثل هذا الإعجاز من الدقة البالغة، فذلك دليل على وحي يوحى من عند الله وشاهد ذلك من سورة هود بعد ذكر قصة نوح عليه السلام، يقول تعالى:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

ومن أهداف القصص القرآني بيان أن الدين واحد من عند إله واحد وتتلاقى الرسالات السماوية جميعًا عند غاية واحدة، والأنبياء جميعًا دعوتهم واحدة تقررها لنا تلك الآية:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

ومن أهداف القصص القرآني التربوية كذلك تنبيه الناس إلى سبل وأفانين الشيطان وطرق غوايته حتى يأخذوا حذرهم وتوضيح العداوة بينه وبينهم منذ أبيهم "آدم" عليه السلام وإبراز تلك العداوة عن طريق القصة أدعى إلى الحذر من أي إحساس أو هاجسة تدعو إلى طريق الشر، وأشد تأثيرًا من العظة المباشرة وربما لأهمية هذا الهدف تكررت قصة آدم عليه السلام في مواضع عدة.

---

(١) سورة هود : الآية ٤٩.
(٢) سورة الشورى : الآية ١٣.

بيان قدرة الله على المعجزات كخلق آدم عليه السلام من تراب، ومولد عيسى عليه السلام بغير أب، وقصة إبراهيم عليه السلام والطير الذي آب إليه، وبيان العاقبة الطيبة والصلاح وعاقبة الشر والإفساد كقصة قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام، وغيرها من القصص القرآني، الذي يقف دليلاً وشاهدًا على أن القرآن الكريم كتاب دعوة وتربية وهداية.

obeikandl.com

رؤى تربوية لبعض العلماء المسلمين

الإمام الغزالي ـ ابن جماعة ـ ابن خلدون

أولاً: الإمام الغزالي:

وهو حجة الإسلام، وأعظم عملائه العاملين في الدعوة والتربية، عاش في القرن الرابع الهجري (٤٥٠هـ، ٥٠٥هـ) وله رسالة تربوية هامة بعنوان (أيها الولد) (أبو حامد الغزالي، ١٩٨٥)، أورد فيها من مجموعة من المبادئ الخلقية والاجتماعية والدينية، وقد كتبها لأحد تلاميذه ليوضح له بعض النصائح والإرشادات في مجال التربية والتعليم، وقد اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد عام (٤٨٤هـ)، وله الكثير من الأفكار التربوية الرائدة في تربية الأطفال وتعليمهم، نورد منها ما يلي:

١- أنه ينصح المعلمين بالشفقة على المتعلمين، وأن يكونوا لهم كآبائهم، وأن يكرموهم بما يفرحون به، وإذا أحرز المتعلم تقدمًا فينبغي أن يلحظ نتيجة اجتهاده في ثناء المعلم عليه وشكره له، والإشادة به خاصة في جماعته، لإعلاء شأنه، وجعله نموذجًا وقدوة يحتذى بها، ومن قوله (فإذا ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه، ويُجازى عليه بما يفرح به، ويُمدح بين أظهر الناس).

٢- يرى الغزالي أن الغرض من التربية هو التقرب إلى الله ﷻ، وأن العلم لا يطلب إلا لذاته وليكون وسيلة إلى الدار الآخرة، ومهنة التعليم من أشرف المهن والأعمال والمعلم في نظره هو (المتصرف في قلوب البشر ونفوسهم).

٣- طالب الغزالي بالاهتمام بالحالة الانفعالية للطفل وضرورة تحقيق التوازن النفسي والجسمي له حتى يتم التعلم الجيد، وضرورة مراعاة مستوى الأطفال وميولهم والفروق الفردية فيما بينهم.

٤- نادى الغزالي بمبدأ القدوة الحسنة في اكتساب الفضائل والأخلاق الحميدة، وحث المعلمين على أن يكونوا قدوة لتلاميذهم.

٥- وفي عقوبة الطفل ينهى عن الضرب واستعمال القسوة والشدة، ويرى أن معاتبة الطفل وتوبيخه بصفة مستمرة وتذكيره دائمًا بالخطأ الذي بَدر منه يجعله عنيدًا وينمي في نفسه (شعور اللامبالاة)، فلا يفتأ يكرر غلطته، طالما أن كلام الآباء أصبح مكررًا لا قيمة له، ومن قوله في ذلك (ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإن يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويُسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلى أحيانًا، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح).

ثانيـــًا: ابـــن جمـــاعة:

أحد أئمة الفكر التربوي الإسلامي، عاش فيما بين القرنين الهجريين السادس والسابع (٦٣٩هـ- ٧٣٣هـ)، ورسالته في التربية عنوانها (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم.

ومن آرائه التربوية في تربية الأطفال وتعليمهم:

١- إن الإثابة أفضل من العقوبة في تعليم الطفل، كما أن ثناء المعلم على تلاميذه دافع جيد للنجاح والتحصيل، وباعث على الاجتهاد وطلب العلم، ومن قوله في ذلك (يطالب "المعلم" الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة، ويختبرهم بمسائل تُبنى على أصل قرره أو دليل ذكره، فمن رآه مصيبًا في الجواب، ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد) (حسن إبراهيم عبد العال، ١٩٧٨).

٢- فيرى ابن جماعة (أن العقوبة التربوية تتفاوت على أربع درجات من الشدة، فإذا صدر من المتعلم سلوك غير مقبول، على المعلم أن يتبع المراحل التالية:

- النهي عن ذلك، وبحضور من صدر منه الفعل الخاطئ دون التعريض به، أو الإهانة له.
- فإن لم ينته، نهاه (المعلم) عن ذلك سرًا، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها، (أي مع من تفلح الإشارة في لفت أنظارهم).
- فإن لم ينته، نهاه عن ذلك جهرًا، وليغلظ عليه القول إن لزم الأمر، لينزجر هو وغيره ويتأدب كل سامع.
- فإن لم ينته، فلا بأس حينئذ من طرده والإعراض عنه إلى أن يرجع (عن السلوك الخطأ) ولا سيما إذا خاف (المعلم) على بعض رفاقه من الطلبة موافقته.

٣- ضرورة الابتعاد عن العقوبة التي تجرح كرامة الإنسان وتحط من قدره، وكذلك العقوبة الصارمة القاسية التي تنجم عنها كراهية الشخص المعاقب، وتولد في النفس الشعور بالنقص وتزرع فيها الخوف.

٤- وعند توقيع العقوبة يجب على المعلم أن يتحلى بالحلم وسعة الصدر ولين الجانب في باحثة أخطاء تلاميذه، فيقول (والصبر على جفاء ربما وقع منه، ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ولا بتعنيف ولا تعسف، قاصدًا بذلك حسن تربيته).

ثالثـــاً: ابـــن خلـــدون:

وهو في صدارة العلماء المسلمين في الفكر الاجتماعي والتربوي، عاش خلال القرن السابع الهجري (٧٣٢هـ، ٨٠٨هـ)، وقد طبقت شهرته الآفاق من خلال كتابه (المقدمة) الذي جعله جزءًا في كتابه المعروف في التاريخ باسم (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) (مقدمة ابن خلدون د.ت)، وهو موسوعة ضخمة أمضى في تأليفه حوالي خمس عشرة سنة، ويضم ثلاث كتب في سبع مجلدات أشهرها المقدمة:

- المقدمة وهي الكتاب الأول، صنفه في علم العمران (علم الاجتماع).
- الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم من بدء الخليقة وحتى القرن الثامن الهجري.
- الثالث في أخبار البربر وديارهم في المغرب.

ومن آرائه التربوية في تربية الأطفال:

١- ينصح ابن خلدون باستخدام الشفقة في معاملة الأطفال وتربيتهم، وهو يرى أن الشدة والقسوة في تعليمهم ضررها أكبر من نفعها، وقد أنكر على معاصريه الشدة والقسوة وتربية العبيد في تعليم الأطفال، وأشار إلى ضرورة أن نفهم نفسياتهم ونقف على أبعاد شخصياتهم، حتى يمكن أن نوجههم ونقوم أخطاءهم.

٢- أن سوء معاملة المتعلمين يقود حتمًا إلى ألوان كثيرة من الانحرافات النفسية والسلوكية التي تظهر كنتيجة للقسوة والشدة والعنف في تربية المتعلمين، ومن قوله في ذلك (من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو

التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة، لذلك صارت له هذه عادة وخلقًا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عليه لا على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غاياتها، ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل سافلين، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر).

٣- دعا (ابن خلدون) إلى استخدام التدرج في التعليم، كالانتقال من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقد، ومن المعلوم إلى المجهول، وحسن الانتقال من الأمثلة الحسية إلى القوانين العامة.

obeikandl.com